الفصل الأوَّل

ماهية التوحُّد

✍الطفولة هي المحطة الأولي في قطار العُمْر للنفس البشريَّة، وإذا كانت القناعة السَّائدة أنَّ المعالجات ينبغي أن تبدأ من الجذور، فإن الطفولة هي جذور الإنسان الحقيقية٠

واضطراب «الأوتيزم »Autism ،الذي نسميه باللُّغة العربيَّة «التوحُّد»، أو «الذاتويَّة» ، هو اضطراب أو إعاقة غامضة، ينبغي بذل الجهد لاكتشافه٠وكُلّ طفل يُعاني من «التوحُّد» هو حالة فريدة خاصَّة، ولذلك علي الآباء والأمهات أن يتفهموا حالة طفلهم جيداً؛ لأنَّه من الصَّعب عليهم اقتحام عالم «طفل التوحُّد» دون أن يأذن لهم الطفل نفسه٠

والطفل «التوحُّدي»، أو«الذاتوي» يعيش في حالةٍ من الاضطراب يحتاج فيها إلي مَنْ يُساعده علي استيعاب هذه الحالة، وذلك بفهم ما في داخله، وما يُحيط به، ثُمَّ يشرحه له، ويُساعده علي أن يتأقلم بنفسه مع هذا الاضطراب الذي يموج بداخله٠

ويجب أن نُشير إلي أنَّ التشخيص والتدخُّل المبكر لعلاج هذا الاضطراب الغامض يعنيان فرصة كبيرة للطفل التوحُّدي أن يعيش حياة طبيعيَّة وناجحة٠ لقد أصبح «الأوتيزم» أشبه بالوباء العالمي، الذي يُحتم علينا التصدي له منذ البدايات الأوَّلي٠والشيء المؤسف حقاً، أنَّه لا يزال الكثير من النَّاس لا

يعرفون عنه إلاَّ قدراً يسيراً للغاية٠٠من هنا استشعرنا ضرورة التصدي لهذه المشكلة علي صفحات هذا الكتاب، بدراسةٍ نتوقعها شاملة، مُتعدّدة الجوانب، ونأملها أن تحقق الهدف المرجو منها بتقديم كافة المعلومات، والمعالجات، والتصوُّرات حول هذا الاضطراب الغامض.

● تعريف التوحُّد:

التوحُّد، كما قلنا من قبل هو الإعاقة الغامضة التي لا تزال ــ حتى يومنا هذا ــ محور الاهتمام والدراسة في كافة الأوساط الطبيَّة والبحثيَّة٠ وهو نوعٌ من الإعاقات التطوُّريَّة التي تُصيب الأطفال، ومن أكثر الإعاقات صعوبة بالنسبة للطفل والأسرة٠

ويُعد التوحُّد ثالث إعاقة تطوُّريَّة من حيث الإصابة، كما يُعد أكثر صعوبة من متلازمة «داون» (ينتج عن تغيُّر في الكروموسومات؛ حيث توجد نسخة إضافية من كروموسوم٢١ أو جزء منه في الخلايَّا، ممَّا يُسبّب تغيُّراً في المورّثات. تتسم الحالة بوجود تغييرات كبيرة أو صغيرة في بنية الجسم. يصاحب المتلازمة غالباً ضعف في القدرات الذهنيَّة والنموّ البدني). وتنتج صعوبة التوحُّد من نقص المعلومات للتعرُّف علي كيفية تأثيره في القدرات والمهارات، وسلوك الطفل المؤدي إلي صعوبة فهمه٠

والمقصود بالإعاقات التطوُّريَّة، أو مجموعة اضطرابات النموّ الشامل، هي: حالات اضطراب ذاتي بيولوجي تتمثَّل في توقف النموّ على المحاور اللُّغويَّة والانفعاليَّة والاجتماعيَّة، أو فقدانها بعد تكوينها؛ ممَّا يؤثرّ سلباً ـــ في المستقبل ـــ في بناء الشخصيَّة.،ويقع تحت هذه المجموعة أربع إعاقات،هي:

التوحُّد· Autism

- متلازمة الأسبرجر ·Asperger Syndrome حيث يظهر المصابون بهذا المرض صعوبات كبيرة في تفاعلُّهم الاجتماعي مع الآخرين، مع رغبات وأنماط سلوكية مقيدة ومكرَّرة.
- متلازمة ريت · Retts Syndrome وهو مرض وراثي نادر يُسبّب اضطرابات شاملة في النموّ ويؤثر بشدة على دماغ المُصاب حيث يفقده القدرة علي الاحتفاظ بما اكتسبه وتعلَّمه من خبرات ومهارات كالسير والنطق، وكثيراً ما تصاحبها درجة من درجات التخلُّف العقلي بالإضافة إلي ما تُسبّبه من إعاقات حركيَّة أو إعاقة تواصل ونوبات صرعية. ويتعلَّق المرض بالتوحُّد. ويبدو الأطفال الصِّغار المُصابين بمتلازمة ريت في حالة نموّ وتطوُّر طبيعيين في بداية الأمر؛ ولكنَّهم يتوقفون عن

النموّ ما بين الشهر الثالث والسنة الثالثة. وهي إعاقة تصيب الإناث فقط. وتبدأ أعراضها في الظهور بعد الأشهر الستة أو الثانية عشر الأولي من عُمرهن . ويعتقد العديد من الباحثين أنَّها ذات أساس وراثي له علاقة بالكروموسوم X.

- اضطرابات الطفولة التحللية Childhood Disintegrative Disorders(سي دي دي) والمعروف أيضا باسم متلازمة هيلر والانتكاس الذهني. وهي حالة نادرة وُصفت بالبداية المتأخرة من عوائق النموّ اللُّغوي والأداء الاجتماعي والمهارات الحركيَّة في سن الثالثة من العُمُر. ولم يفلح الباحثون حتى الآن في معرفة سبب هذه الاضطرابات. إنَّ مرض (سي دي دي) يشبه إلى حدٍّ ما التوحُّد ويُعتبر الشكل الأبسط منه. ولكن غالباً يتم ملاحظة فترة واضحة في النموّ الطبيعي قبل حدوث تراجع في أداء تلك المهارات المكتسبة أو سلسة من التراجعات فيها.

والتوحُّد كلمة مترجمة من الكلمة اليونانيَّة Autos التي تعني الذات،أو العزلة أو الانعزال وليس الانطوائيَّة، وهي كحالةٍ تمثل مشكلة، ليس كونها عزلة فقط، وإنما رفض التعامُّل مع الآخرين، مع سلوكيات ومشكلات متباينة من طفلٍ لآخر.

وقد توصل الطب النفسي اليوم إلي تعريف التوحُّد كمجموعة عوارض تقع تحت مظلة الاضطرابات التطوُّريَّة العامَّة، لهذه العوارض خصائص مشتركة، مثل: انعدام كُلي في التواصل الاجتماعي، واضطراب بالغ في القدرات اللُّغوية، واجترار الاهتمامات والتصرُّفات، إضافة إلي صفات مميزة خاصَّة بكُلّ عارض يتم تفصيلها بدقةٍ أثناء عملية التشخيص الفردي.

وقد عرَّف الباحثان « مورين أرونز » Moureen Arons، و« تيسا جينز »Tessa Gittens هذا الاضطراب بأنَّه: «صعوبة التواصل في العلاقات الاجتماعيَّة، مع قلة الاهتمام بالعالم المُحيط».

وقد عُرّف أيضاً علي أنَّه: « إعاقة مُتعلقة بالنموِّ تنتج عن اضطراب في الجهاز العصبي ممَّا يؤثر علي وظائف المخ ».

ووفق مُعجم منظمة الصحَّة العالميَّة يُعرَّف التوحُّد أو الذاتوية علي أنَّه: «انصراف الطفل إلي أفكار ذاتية، وأحلام يقظة، وأوهام مع الابتعاد عن الواقع وعدم القدرة علي التواصل العاطفي والاجتماعي فضلاً عن تدهوُّر اللُّغة أو غيابها..هذا مع اهتمام الطفل المكثف بشيءٍ مُحدَّد وافتقاد تجاوبه للأوامر، وطغيان تفضيل ذاته علي كُلّ ما في مُحيطها، ممَّا يُسبّب انعزاله وظهور اضطرابات سلوكية وعصبيَّة وحركات لاإرادية تتكرَّر آلياً».

● التوحُّد وعلاقته بالذكاء:

لابدّ أن نعلم أنَه ليس جميع المُصابين بالتوحُّد يكون مستوي ذكائهم منخفض، كما يعتقد ــ خطأ ــ بعض النَّاس، وحسب بعض الإحصائيات فإنَّ ٣٠٪ من الأطفال التوحُّديين أو الذاتويين يتراوح مُعدل ذكائهم بين (٥٠ ــ ٧٠ درجة)، و ٤٠٪ لديهم نسبة ذكاء تقع بين (٥٠ ــ ٥٥ درجة)، و ٣٠٪ تقل نسبة ما يملكونه من ذكاء عن (٥٠ درجة)٠ويلاحظ أن حدوث التوحُّد يتزايد مع نقص الذكاء.

● قراءة في أهم الإحصائيات :

يُقرِّر علماء الصحَّة النفسيَّة أنَّ التوحُّد إعاقة متعلقة بالنموّ - عادةً - ما تظهر خلال السنوات الثلاث الأولي من عُمُر الطفل، وقد تظهر المشكلة خلال السَّنة الأولي في نحو(٧٠ - ٨٠٪) من المُصابين، أمَّا الباقي فيكون نموَّهم بصورةٍ طبيعيَّة، أو شبه طبيعيَّةٍ، ثُمَّ يتراجعون فيما بين سن الثانية والثالثة، ممَّا يُفقدهم بعض المهارات التي اكتسبوها كاستخدامهم بعض الكلمات، والسلوكيات الاجتماعيَّة.

وتزيد نسبة الإصابة باضطراب التوحُّد في الذكور عنها في الإناث بنسبة ١:٤، ولا يرتبط هذا الاضطراب بأيّة عوامل

عرقيَّة أو اجتماعيَّة، حيث لم يثبت أنَّ لعرق الشخص أو طبقته الاجتماعيَّة، أو الحالة التعليميَّة، أو الأوضاع الماليَّة أيّة علاقة للإصابة بالتوحُّد.

واضطراب التوحُّد بدأ ينتشر انتشاراً كبيراً في السنوات الأخيرة حسب ما جاء في التقرير الذي ينشره مركز الأبحاث في جامعة «كامبريدج»، حيث أصدر تقريره بازدياد نسبة مرض التوحُّد من (٥) حالات لكُلّ (١٠) آلاف طفل في السَّنة في سن(٥,١١)، إلي (٧٥) حالة لكُلّ (١٠) آلاف طفل.. وهذه نسبة كبيرة لأسباب قد تبدو غير معروفة تماماً، لكن العوامل الوراثيَّة تلعب دوراً مهماً، بالإضافة إلي العوامل الكيميائيَّة والعضويَّة.

وحسب مصادر أمريكية فإنَّ نسبة التوحُّد الإجماليَّة قد ارتفعت إلي ١١٪ سنوياً مقارنة باضطرابات أخري، مثل: التخلُّف العقلي الذي ارتفع بنسبة ٥,١٧٪، والصَّرع بنسبة ٦,١٢٪، والشلل الرعاش بنسبة ٤,١٢٪ .

وفي الولايات المتحدة الأمريكية يوجد لديها (٢,٥)حالات من كُلّ (١٠) آلاف مولود، يقوم برعايتهم (١٦٥٠) مركزاً بحثياً. إضافة إلي أنَّ تقدير الأطفال الذين لديهم أعراض سلوكية تشبه التوحُّد يتراوح بين (١٥,٢٠) طفلاً من بين (١٠) آلاف طفل.

لكـن هنـاك تفـاوت في الأرقـام تبعـاً للبلـد الـذي تتـم فيـه الدراسـة، ففـي ألمانيـا طفـلان لـكُلّ (١٠) آلاف طفـل، وفي اليابـان (١٦) طفـلاً لـكُلّ (١٠) آلاف طفـل. ويرجـع هـذا التفـاوت إلـي اختـلاف العوامـل الوراثيَّـة (الجينيَّـة)، والتأثيـرات البيئيـة٠

● الفرق بين التوحُّد والإعاقة العقليَّة:

الجدول التالي يوضح السمات الخاصة بكل منهما:

م	وجه المقارنة	الإعاقة العقليَّة	التوحُّد
١	التعلق بالآخرين	الفرد المُعاق عقليًّا ينتمي ويتعلَّق بالآخرين. وأنَّ لديه وعي اجتماعي نسبي.	الفرد التوحُّدي (الذاتوي) يفقد التعلُّق بالآخرين حتى عندما تكون نسبة الذكاء لديه متوسطة.
٢	الإعاقة العقليَّة	يفقد القدرة علي التعبير اللفظي والإدراكي والحركي والبصري.	الفرد التوحُّدي غير قادر علي التعبير اللفظي،كما أنَّ لديه قدرة محدودة للإدراك الحركي والإدراك البصري.

٣	التواصل اللُّغوي	لديه تواصل لغوي مع الآخرين محدودة للغاية.	لديه صعوبة شديدة في الاستخدام اللُّغوي، وإن وُجدت اللُّغة فهي غير عادية، ولا تكون مفهومة
٤	القدرات الجسميَّة	لديه عيوب وعجز جسمي نسبته أعلى.	لديه عجز جسمي أقل.
٥	السلوك النمطي	يختلف لدى الفرد المعاق السلوك النمطي باختلاف الإعاقة العقليَّة.	السلوك النمطي ظاهر، كذلك الحركات الكبيرة، مثل: التأرجُح الذي يتمّ في صورةٍ نمطيةٍ.

● التوحُّد.. وفرط الاستثارة الانتقائيَّة

أشار الدكتور «ستيفن م٠أيديلسون» إلى أنَّ عبارة فرط الاستثارة الانتقائيَّة تُستخدم لوصف ظاهرة يُركز فيها شخص على جانب واحد لشيءٍ أو محيط، بينما يتجاهل الجوانب الأخرى، ويبدو أنَّ العديد من الأشخاص التوحُّديين لديهم هذه الرؤية الضيق. إنَّ فكرة الاستجابة لجانب واحد فقط من عدة جوانب، تجعل من الصَّعب على الطفل التوحُّدي معرفة عالمه، فمثلاً: إذا تمَّ تعليم طفل كيف يُفرِّق بين شوكة وملعقة فإنَّه

قد ينتبه أو يُركز علي اللَّون (وهو جانب بارز جدًّا) أكثر من تركيزه علي الشكل، وفي هذه الحالة يجد الطفل صعوبة كبيرة عند محاولة تحديد ما هي الأداة النافعة للاستخدام٠

لذا.. من المهم مساعدتهم في توجيه انتباههم للجوانب ذات الصلة لشيءٍ ما،أو للوسط المُحيط بهم، فعند تعليم الطفل التوحُّدي العثور علي سيارة الأسرة من بين السيارات الموجودة في موقف السيارات ينبغي علي الطفل أن يوجه انتباهه للون والشكل معاً٠